جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالقرين – شرقية

اقتران اسم الله الرحيم في القرآن
دراسة تدبرية

إعداد

الأستاذ الدكتور: أحمد محمد الشرقاوي سالم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الايميل: sharkawe٢٠٠٠@azhar.edu.eg

العدد الخامس

للعام ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

اقتران اسم الله الرحيم في القرآن دراسة تدبرية

أحمد محمد الشرقاوي سالم
قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر ، مصر .
البريد الإلكتروني :sharkawe٢٠٠٠@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

يدور هذا البحث حول أسرار اقترانات اسم الله "الرحيم" بعدد من أسماء الله الحسنى، منها: الرحمن ، والتَّوَّابُ ، والغَفُورُ، والبَرُّ، والعَزِيزُ، والرؤوف، والودود، وما ينبثق عن ذلك من معانٍ ولطائف، ونكات بلاغية ، ومما خلّص له البحث من نتائج :

حاجتنا للعيش في رحاب أسماء الله الحسنى؛ لتلهج بها ألسنتُنا وتنبض قلوبُنا، ويزداد إيماننا ومعرفتنا بربنا.

أن لاسم الله الرحيم مع غيره من أسماء الله الحسنى ثمانية اقترانات، وأنه دائمًا يُسبق، وفي مواضع قليلة لا يسبق، وغالبًا يأتي مقترنًا وقد يأتي منفردًا، كما أبرز البحث توافق منهج الأنبياء في الدعاء، والتوسُّل بأسماء الله الحسنى.

الكلمات المفتاحية: الأسماء الحسنى- الرحيم- الرحمن- اقتران- تفسير.

The Coupling of Allah's Name "Al-Raheem" in the Quran: A Contemplative Study

By Ahmed Mohamed El-Sharkawy Salem
Faculty of Fundamentals of Religion and Preaching, Zagazig, Al-Azhar University
Email: sharkawe٢٠٠٠@azhar.edu.eg

Abstract:

This research revolves around the secrets of the associations of the name of God, "the Most Merciful," with a number of the most beautiful names of God, including: the Most Merciful, the Forgiving, the Forgiving, the Righteous, the Mighty, the Compassionate, and the Friendly, and the meanings and subtleties that emerge from that, and rhetorical secrets.

The results of the research included: Our need to live within the scope of the Most Beautiful Names of God, so that our tongues may chant them and our hearts beat, and our faith and knowledge of our Lord increase. The Name of God, the Most Merciful, has eight conjunctions with other of the Most Beautiful Names of God, and that it always precedes, and in a few places it precedes, and often comes. Combined, or it may come alone. The research also highlighted the compatibility of the prophets' approach to supplication and supplication in the Most Beautiful Names of God.

Keywords: The Most Beautiful Names – The Most Merciful – Al–raheem Al–Rahman – Al–rahman Conjunction – Interpretation.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فكل آيةٍ في كتاب الله تنطق بجلاله وجمالِه، وعظمته، وأسماء الله الحسنى تتجلّى في القرآن فتزيدنا معرفةً بربنا وإيمانا وتعظيما له. قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠. وقال سبحانه ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء: ١١٠ . وقال جلّ وعلا ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ طه: ٨

وفي الحديث يقول نبينا صلى الله عليه وسلم (إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنةَ) [١].

(من أحصاها) : إيماناً ويقيناً، ومعرفة وتعظيماً، وعلما وفهماً، ورواية ودراية، ومهابة وإجلالا، وسلوكاً وحالا [٢] .

وهذا البحث يدور حول أسرار اقترانات اسم الله الرحيم بعدد من أسماء الله الحسنى: الرحمن والتواب والغفور والعزيز والبر والرؤوف والودود، وما ينبثق عن ذلك من معانٍ ولطائف،

---

١ ــ رواه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبى هريرة ك التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحداً حديث ٧٣٩٢ ، ورواه البخاري في كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحدة ح ٦٤١٠ ، ورواه مسلم في الصحيح بلفظه عن أبى هريرة ك الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى ٥/١٧ ، ورواه الترمذي في السنن ك الدعوات باب ٨٣ ح ٣٥٠٦ وقال حديث غريب حدثنا به غير واحد.

٢ ــ قال ابن حجر العسقلانى : "والإحصاء قد يكون بالقول، وقد يقع بالعمل، فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها، كالرحيم والكريم والعفو والحليم ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها، فبهذا يحصل الإحصاء العملي، أما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والدعاء بها " فتح الباري- شرح صحيح البخاري ٣٨٩/١٣ .

فكتاب الله تعالى بحرٌ لا ساحل له، وآفاق لا حدود لها ولا منتهى. ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ الكهف: ١٠٩

وإن من أكثر أسماء الله ورودا في القرآن اسم الله [الرحيم] وكذلك اسم الله الرحمن، وقد اقترنا في مواضع عديدة، ليزداد العبدُ يقينا وطمعًا في رحمة الله. ومظاهر رحمة الله تعالى لا يمكن أن يحصيها عدٌّ أو يحصرها حدٌّ، هذا ما تجلّى منها، فكيف بما خفي ولطُف! ورحمة الله لا يمكن أن نستغني عنها طرفةَ عين، نعيشُ ونحيا برحمة الله، فكل حركة وكلُّ سَكَنَة وكل نَفَس إنما يجري برحمة الله. ورحمة الله تحوطنا وتشملنا وتسعنا جميعا، قال تعالى ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ الأعراف: ١٥٦ ، ولولا رحمة الله بنا ما حيينا ولا نعمنا بعيش. ورحمة الله عامة وخاصة، عامة تشمل كل مخلوق، قال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ غافر: ٧

وخاصة لعباد الله الصالحين قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ﴾ البقرة: ١٠٥

وما أجمل أن يدور بحثنا هذا عن رحمة الله، نستحضرها ونرتجيها، وبمدارستها تحوطنا وتظللنا وتغشانا فإذا زاد رجاؤنا في رحمة ربنا الرحيم، تبدّد القنوط، وانهزم اليأس، وانسحبت جيوشُ الهمّ، فيحيا الأمل، وتنتعشُ الروح، وينشرح الصدر، ويطمئن القلب.

ولقد انفردت صفةُ الرحمةِ في القرآنِ الكريمِ بالصدارةِ، حيث تكررت بمشتقاتِهَا ثلاثَ مائةٍ وخمسَ عشرةَ مرةً، بينما جاءت صفةُ الصدقِ مائةً وخمسًا وأربعينَ مرةً، وجاءت صفةُ

الصبرِ تسعينَ مرةً، وجاءت صفةُ العفوِ ثلاثًا وأربعينَ مرةً، وجاءت صفةُ الأمانةِ أربعينَ مرةً، وهذا يدل على أهمية الرحمة في هذا الوجود، وتجلّي رحمة الله تعالى في كل موجود.

عن أَبَي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحمَةَ مِائَةَ جُزءٍ، فَأَمسَكَ عِندَهُ تِسعَةً وَتِسعِينَ جُزءًا، وَأَنزَلَ فِي الأَرضِ جُزءًا وَاحِدًا، فَمِن ذَلِكَ الجُزءِ يَتَرَاحَمُ الخَلقُ؛ حَتَّى تَرفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشيَةَ أَن تُصِيبَهُ) [1] . وعَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبيٍ فَإِذَا امرَأَةٌ مِنَ السَّبيِ تَبتَغِي، إِذَا وَجَدَت صَبِيًّا فِي السَّبيِ، أَخَذَتهُ فَأَلصَقَتهُ بِبَطنِهَا وَأَرضَعَتهُ، فَقَالَ لَنَا ﷺ:(أَتَرَونَ هَذِهِ المَرأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟) قُلنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقدِرُ عَلَى أَن لَا تَطرَحَهُ؟ فَقَالَ ﷺ: (للَّهُ أَرحَمُ بِعِبَادِهِ مِن هَذِهِ بِوَلَدِهَا) [2]

ومن مزايا الأسلوب القرآني ختم آيات كثيرة بما يناسبها من أسماء الله تعالى الحسنى تقريرا للمعاني وتأكيدًا لها وزيادة بيان، وتعميما، وغير ذلك من الأغراض البلاغية، هذا فضلا عن اقتران الأسماء غالبا، بتوافق عجيب، وروعة ترتيبٍ، يفطن له كلُّ أديب أريبٍ، ويتذوقُ حلاوتَه كلُّ مفكرٍ لبيب.

سمع أعرابيٌّ رجلاً يقرأ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٩

١ ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب بَابُ رَحمَةِ الوَلَدِ وَتَقبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ح ٦٠٠٠ .

٢ ـ متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب بَابُ رَحمَةِ الوَلَدِ وَتَقبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ح ٥٩٩٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحمَةِ اللهِ تَعَالَى (٤/ ٢١٠٩) ح٢٢ ـ (٢٧٥٤)

ولم يكن الأعرابي يقرأ القرآن؛ لكنه قال: لا يكون هكذا! فقيل: إنما هو { عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. قال: هكذا نعم؛ الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراءٌ عليه. فظهر أن المناسب ما عليه التلاوة.(١)

كما روُي عَنِ الأَصمَعِيِّ قَالَ كُنتُ أَقرَأُ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨ فأخطأتُ وقلتُ: والله غفور رحيم، وبجانبي أَعرَابِيٌّ فَقَالَ كَلَامُ مَن هَذَا؟ قُلتُ كَلَامُ اللَّهِ، قَالَ: لَيسَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ فانتبهت فَقَرَأت { يي ذٰ رٰ } فَقَالَ أَصَبتَ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ. فَقُلتُ: أَتَقرَأُ القُرآنَ؟ قَالَ لَا؛ قُلتُ مِن أَينَ عَلِمتَ؟ قَالَ يَا هَذَا! عَزَّ فَحَكَمَ فَقَطَعَ وَلَو غَفَرَ وَرَحِمَ لما قطع! (٢)

وصدق ابن عطية في قوله: "كتاب الله لو نُزِعَت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهُها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة".(٣)

من هنا تكمن أهمية هذا الموضوع، والتي سأجملها في النقاط الآتية :

١. أنه متعلق بأسماء الله الحسنى، في القرآن، والتي من الواجب دراستها لنزداد إيمانا ومعرفة، ورجاء وطمعا، وثقة ويقينا بربنا جل وعلا.

٢. حاجتنا للعيش في رحاب أسماء الله الحسنى، تلهج بها ألسنتنا وتنبض قلوبنا، وتجول خواطرُنا، وتزكو نفوسُنا.

---

١ ــ البيان والتبيين للجاحظ (٢/ ٢٣٠)، والبصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠ هـ) (٩/ ٦٠). (٩/ ٦٠). والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري (١/ ٢٥٣)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٣٢).

٢ ــ التفسير البسيط للواحدي النيسابوري (٧/ ٣٧٣).

٣ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٥٢).

٣. أهمية دراسة أساليب القرآن والوقوف على بلاغته، وإبراز وجوه إعجازه.

٤. أن هذا الاسم الجليل قد اقترن بأسماء عديدة من أسماء الله تعالى، وفي مواطن متعددة في القرآن بما يدعو لدراسة هذه الظاهرة القرآنية العجيبة.

أما عن أسباب اختياري له:

فهذا الموضوع رغم أهميته لكنني لم أسبق إليه، وهو فكرة تراودني منذ سنوات عديدة، وقد سبق لي دراسة أسرار خواتيم آيات سورة النحل بأسماء الله الحسنى، كما كتبت بحثا في التذييل كدراسة تأصيلية، فهذا البحث امتداد لما سبقه.

الدراسات السابقة: هناك دراسات عديدة حول هذا الموضوع، لكنها تغايرُ موضوعَ بحثي، منها:

١- رسالة دكتوراه من كلية التربية بجدة بعنوان: مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام "الأسماء المقترنة"، للباحثة: نجلاء بنت عبداللطيف كردي، نشرت عام ١٤٢٢ هـ، تبحث في أسماء الله الحسنى المقترنة في القرآن الكريم، لتقديم نماذج للمقامات التي تستدعي اسمين معينين من أسماء الله -تعالى- دون غيرهما من الأسماء، من خلال تحليل الشواهد تحليلًا بلاغيًّا، ولقد اطلعت على هذه الرسالة، وهي جهد مشكور، حشدت فيها الكثير والكثير مما يحتاج إلى كتابات مستقلة، فضلا عن غياب المعالجة التفسيرية.

٢- بحث بعنوان بلاغة القرآن في تذييل الآيات "دراسة تأصيلية"، إعداد أحمد محمد الشرقاوي. مجلة تدبر العدد الثاني، السنة الأولى.١٤٣٨ه ٢٠١٧م ويقع في ١٠٠صفحة وهو دراسة تأصيلية مع بعض النماذج.

٣- تناسق ورود أسماء الله الحسنى في خواتيم آيات سورة الأنفال مع السياق، د.طارق أحمد عقيلان، مجلة الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، عدد٢، ١٤٤١- ٢٠١٩ ويقع في ٣٧ صفحة قطع كبير.

٤- أسماء الله الحسنى في خواتم آيات سورة الفاتحة والبقرة، د.علي بن سليمان العبيد، ط دار العاصمة الرياض ١٤١٨.

٥- "اسم الله اللطيف واقترانه بالخبير"، أ.د. يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وهذه الدراسات كما أشرتُ لم تتعرّض لموضوع بحثي اقترانات اسم الله الرحيم، كما سأتعرض له مفصَّلا، بإذن الله.

أهداف البحث

١. العيش في رحاب القرآن عموما وأسماء الله الحسنى على وجه الخصوص.
٢. بيان اقترانات اسم الله الرحيم في القرآن والوقوف على معانيها ولطائفها.
٣. إبراز جوانب البلاغة القرآنية في هذه الاقترانات.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة:

المقدمة: وتدور حول أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث وخطته ومنهجه.

المبحث الأول : الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

المبحث الثاني : التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

المبحث الثالث : الغَفُورُ الرَّحِيمُ

المبحث الرابع : الرَّحِيمُ الغَفُورُ

المبحث الخامس : البَرُّ الرَّحِيمُ

المبحث السادس : رؤوف رَّحِيمُ

المبحث السابع : رَّحِيم ودود

المبحث الثامن : العَزِيزُ الرَّحِيمُ

الخاتمة، وستشتمل على أهم النتائج والتوصيات

منهج البحث:

سوف أتناول في هذا البحث جميع مواضع اقتران اسم الله الرحيم، وأبيّن بقدر طاقتي المعنى والمغزى من ذلك، وأشير إلى وجوه البلاغة، بقدر ما يُفتح علي ويتيسّرُ، وقد أقتضب أحيانا مراعاة للاختصار، وربما أسهبت فيما رأيته بحاجة لإسهاب.

بالإضافة للمنهج المتبع في البحوث العلمية من حيث العرض والاقتباس والتوثيق، وتوضيح ما يحتاج لتوضيح وتخريج الأحاديث والآثار، مع مراعاة المنهج الموضوعي بتتبع المواضع وسياقاتها في القرآن، مع النظرة الكلية الشاملة، كما أسلك المنهج التحليلي من حيث الاستقراء والاستقصاء، والتحليل والاستنباط والاستنتاج.

المبحث الأول : الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

اقتران الاسمين الجليلين "الرحمن الرحيم"

اقترن الاسمان الجليلان في ستة مواضع متفرقة في كتاب الله تعالى، وفي هذا تطمين للعباد أن خالق هذا الكون ومدبره والعالم به بالغ الرحمة.

يلاحظ في كل المواضع تقدم اسم الله الرحمن دائما، لكونه علما لذات الله، كما جاء (الرحمن) مفردًا في القرآن في مواضع كثيرة، في سياق التفضل والإنعام، والرحمة واللطف بالعباد، مؤمنهم وكافرهم، في الدنيا، مع رحمة الله الخاصة بالمؤمنين في الدنيا، واختصاصهم برحمة الله في الآخرة: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ الإسراء: ١١٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ ﴾ مريم: ٦١

﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: ٨٥ – ٩٣

كما جاء اسم الرحمن في سياق تأنيب الكفار وتبكيتهم، كيف يكفرون بالله وهو خالقهم ورازقهم ومدبّر أحوالهم بلطفته ورحمته، وكيف يحرمون أنفسهم من الرحمات بكفرهم وصدودهم! ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ

عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الرعد: ٣٠

"كَانُوا يَقُولُونَ: أَمَّا اللَّهُ فَنَعرِفُهُ، وَأما الرَّحمَن فَلَا نعرفه"[1]

قال البيضاوي : «{وَهُم يَكفُرُونَ بِالرَّحمنِ} وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته، فلم يشكروا نعمه وخصوصاً ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم، وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم».[2]

وقال البقاعي: «وقوله: {بالرحمن} إشارة إلى كثرة حلمه وطول أناته، وتصوير لتقبيح حالهم في مقابلتهم الإحسان بالإساءة والنعمة بالكفر بأوضح صورة؛ وهم يدعون أنهم أشكر الناس للإحسان وأبعدهم من الكفران!».[3]

وقال تعالى ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣٣

فكيف يكفرون بمن أفاض عليهم رحمته، وشملهم بها، فلا يستغنون عنها طرفة عين.

وقال تعالى في قصة إبراهيم مع أبيه ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٥

خوّف أباه من العذاب، مع ترغيبه وتحبيبه في من عمَّ الوجود برحمته.

كما جاء اسم الرحمن لاستحضار رحمة الله كما في قصة مريم واستعطاف قلب من دخل عليها دون إذن، ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ مريم: ١٨

---

١ ـ تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ) (٢/ ٣٥٥).

٢ـ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٨٧). وينظر مفاتيح الغيب، الرازي (١٩/ ٤١).

٣ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي(١٠/ ٣٣٩).

استعاذت بربّها من ذلك الذي قطع عليها خلوتها ودخل بغير إذن، وفي استعاذتها بالرحمن ما يدلُّ على كمال إيمانها، وحسن أدبها ولباقتها وسرعة بديهتها، وفي استعاذتها بالرحمن توجُّهٌ إليه سبحانه أن يرحم ضعفها ويصرف عنها السوء، فقد شَمِلَها تعالى برحمته في سائر أحوالها، وهي الآن أحوج إلى أن تَدَارَكها رحمةُ الرحمن، ففي الاستعاذة بالرحمن ما فيها من استثارة بواعث الرحمة واستنهاض كوامن التقوى في قلب ذلك الداخل، لأنه إن كان رحيما فعساه يرحم ضعفَها ووحدَتَها، وإن كان تقيًّا فسوف ينصرف عنها ولا يمسّها بسوء.

وقد ورد اسم الله الرحيم قرابة٩٥ مرة ، وغالبا ما يقترن بالمغفرة. منها ٣٤ موضعا معرفة بلام التعريف إخبار أو صفة لله جل وعلا.

بينما "ذُكِرَ اسمُ الرَّحمَنِ فِي القُرآنِ الكريم سَبعَةً وَخَمسِينَ مَرَّةً، فَالرَّحمَنُ صِفَةٌ وعلَمٌ تفرد به ربُّ العزة؛ وَلِذَا لَا يَجُوزُ لِمَخلُوقٍ قَطُّ أَن يُسَمِّيَ نَفسَهُ بِالرَّحمَنِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: { قُلِ ادعُوا اللهَ أَوِ ادعُوا الرَّحمَنَ أَيًّا مَا تَدعُوا فَلَهُ الأَسمَاءُ الحُسنَى} [الإسراء:١١٠] فَعَادَلَ اللهُ بِهِ الِاسمَ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيرُهُ وَهُوَ (اللهُ)، وَلِذَا يَجُوزُ أَن يُقَالَ عَن رَجُلٍ أَنَّهُ رَحِيمٌ، وَلَا يَجُوزُ أَن يُقَالَ الرَّحمَنُ... ". وقال القرطبي : «وَذَهَبَ الجُمهُورُ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ" الرَّحمَنَ" مُشتَقٌّ مِنَ الرَّحمَةِ مَبنِيٌّ عَلَى المُبَالَغَةِ، وَمَعنَاهُ ذُو الرَّحمَةِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِيهَا، فَلِذَلِكَ لَا يُثَنَّى وَلَا يُجمَعُ كَمَا يُثَنَّى" الرَّحِيمُ" وَيُجمَعُ. [1]

وقال البغوي :" «قَولُهُ {الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ} قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: هُمَا اسمَانِ رَقِيقَانِ أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الآخَرِ. وَاختَلَفُوا فِيهِمَا، مِنهُم مَن قَالَ: هُمَا بِمَعنًى وَاحِدٍ مِثلَ نَدمَانٍ وَنَدِيمٍ وَمَعنَاهُمَا ذُو الرَّحمَةِ، وَذِكرُ أَحَدِهِمَا بَعدَ الآخَرِ (تَطمِيعًا) لِقُلُوبِ الرَّاغِبِينَ. وَقَالَ المُبَرِّدُ: هُوَ إِنعَامٌ بَعدَ إِنعَامٍ، وَتَفَضُّلٌ بَعدَ تَفَضُّلٍ، وَمِنهُم مَن فَرَّقَ بَينَهُمَا فَقَالَ: الرَّحمَنُ بِمَعنَى العُمُومِ، وَالرَّحِيمُ بِمَعنَى الخُصُوصِ. فَالرَّحمَنُ بِمَعنَى الرَّزَّاقِ فِي الدُّنيَا، وَهُوَ عَلَى العُمُومِ لِكَافَّةِ الخَلقِ. وَالرَّحِيمُ بِمَعنَى المُعَافِي فِي الآخِرَةِ وَالعَفوُ فِي الآخِرَةِ لِلمُؤمِنِينَ عَلَى الخُصُوصِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي الدُّعَاءِ: يَا رَحمَنَ الدُّنيَا وَرَحِيمَ الآخِرَةِ، فَالرَّحمَنُ مَن تَصِلُ

---

١ ــ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ١٠٥).

رَحمَتُهُ إِلَى الخَلقِ عَلَى العُمُومِ، وَالرَّحِيمُ مَن تَصِلُ رَحمَتُهُ إِلَيهِم عَلَى الخُصُوصِ، وَلِذَلِكَ يُدعَى غَيرُ اللَّهِ رَحِيمًا وَلَا يُدعَى غَيرُ اللَّهِ رَحمَنَ. فَالرَّحمَنُ عَامُّ المَعنَى خَاصُّ اللَّفظِ، وَالرَّحِيمُ عَامُّ اللَّفظِ خَاصُّ المَعنَى.»[1]

ولا وجه لتخصيص أحدهما بالدنيا أو الآخرة، كما لا وجه لحمل أحدهما على العموم والثاني على الخصوص، أو القول بأن الرحمن في عظائم الأمور والرحيم ما دونها.

وقيل: الرحمن صفة ذات، والرحيم صفة فعل، أي الرحيم بذاته الذي يوصل الرحمة لعباده.

وفرَّق ابن القيم بين هذين الاسمين: بأن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول: للوصف، والثاني: للفعل، فالأول: دال على أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته. .[2]

والله سبحانه جل شأنه صاحب الرحمة، ومصدرها، ومنبعها .

قال تعالى ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٧

وقوله سبحانه ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ الكهف: ٥٨

ذو الرحمة صاحب الرحمة ومصدرها في الدنيا والآخرة، أوجب الرحمة على نفسه، وكتبها على ذاته، من أجل أن يرحم بها جميع خلقه في الدنيا، وعباده الصالحين يوم القيامة.

وورود الاسمين الجليلين مقترنين في الفاتحة مرتين، الأولى في البسملة والثانية في صدر السورة كأول وصف لله تعالى في فاتحة كتابه، مما يزيدنا طمعا ورجاء في رحمة الله تعالى.

١- ـــ معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥١).

٢- مختصر الصواعق المرسلة، ابن القيم (٣/٨٦٠) .

كَتَبَ عَارِفٌ «بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ» وَأَوصَى أَن تُجعَلَ فِي كَفَنِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ فِيهِ فَقَالَ: أَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: إِلَهِي بَعَثتَ كِتَابًا وَجَعَلتَ عُنوَانَهُ بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، فَعَامِلنِي بِعُنوَانِ كِتَابِكَ. .[1]

مواضع اقتران اسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ الفاتحة: ١

٢. ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ الفاتحة: ٣

٣. ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ البقرة: ١٦٣

٤. ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ النمل: ٣٠

٥. ﴿ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ فصلت: ٢

٦. ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ ﴾ الحشر: ٢٢

الموضع الأول: البسملة والفاتحة

وهي آية مستقل في سورة الفاتحة، وفي كل مطلع سورة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ باستثناء سورة التوبة التي بدأت بالبراءة من المشركين. وفي البسملة اجتمع اسم الله المفرد، واسم الرحمن الذي هو وصفٌ وعَلَمٌ، واسم الله الرحيم، وهو وصفٌ لرب العزة، فالذي أنزل القرآن هو الرحمن الرحيم. وفي الاستفتاح بهما استحضار لرحمة الله، واستمطارٌ لها، وإشارةٌ إلى أن القرآن كتاب الرحمة، يفيضُ بها، ويدعو إليها، وهو سبيلُها، ومنارُها، ومنهاجُها، ومنبعُها، وكل ما جاء في القرآن من أخبارٍ وأمثال وأحكام، فهو رحمةٌ، رحمةٌ خاصة لمن آمن به وعمل به، ورحمةٌ عامة للإنسانية، ورحمةٌ بالمخلوقات.

قال تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥ ﴾ الأنعام: ١٥٥

---

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي (١/ ١٥٦).

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأعراف: ٥٢

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤، وكما استفتح الله كتابه بالبسملة فإنها مستحبة في كل أمرٍ ذي بال.

الموضع الثاني: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة: ٣

لما ذكر تعالى تفرّده بالحمد، وربوبيته للعالم ناسب ذلك بيان رحمته التي وسعت كل شيء، فهو الرحمن الرحيم، كما أن الوصفين الجليلين الدالين على الرحمة استهلّ بهما القرآن؛ لأنهما أول ما نتعرف عليه من أسماء الله وصفاته، فرحمة الله وسعت كل شيء، وسبقت كل شيء، ومجيئ الاسمين بعد ربوبية الله للعالم تطمين للعبد، أن خالق الكون ومدبره ورازقه رب رحيم، وفي مجيئهما قبل {مالك يوم الدين} تطمين آخر للمؤمن أن مالك يوم الدين هذا اليوم بما فيه من أهوال عظام وأمور جسام هو الرحمن الرحيم. فوقع الاسمان الجليلان بين ربوبية الله للعالم، وبين ملكه ليوم الدين، ومجيئ الاسمين الجليلين قبل الدعاء من باب التوسل بأسماء الله الحسنى بين يدي الدعاء، وخصّ صفة الرحمة لأن المطالب الصريحة والضمنية من طلب العون والهداية والإنعام كلها من فيض رحمته تعالى.

الرحمن الرحيم نقصده جل وعلا في جلائل الأمور وعظائم الخطوب، كما نقصده في كل أمرٍ مهما كان يسيرا هيّنا، فبرحمته تعالى يتيسَّر العسير، ويُهوّن الصعبُ، وينفرجُ الكرب، فلا غنى عن رحمته تعالى في أي شأن مهما كان في نظرنا عظيمًا أو هيّنا، قال الرازي :" « حُكِيَ أَنَّ بَعضَهُم ذَهَبَ إِلَى بَعضِ الأَكَابِرِ فَقَالَ: جِئتُكَ لِمُهِمٍّ يَسِيرٍ فَقَالَ: اطلُب لِلمُهِمِّ اليَسِيرِ رَجُلًا يَسِيرًا، كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: لَوِ اقتَصَرتَ عَلَى ذِكرِ الرَّحمَنِ لَاحتَشَمتَ عَنِّي وَلَتَعَذَّرَ عَلَيكَ سُؤَالُ الأُمُورِ اليَسِيرَةِ، وَلَكِن كَمَا عَلِمتَنِي رَحمَانًا تَطلُبُ مِنِّي الأُمُورَ العَظِيمَةَ، فَأَنَا أَيضًا رَحِيمٌ، فَاطلُب مِنِّي شِرَاكَ نَعلِكَ وَمِلحَ قِدرِكَ»".[1]

قال القرطبي:" وقَولُهُ تَعَالَى: {الرَّحمنِ الرَّحِيمِ} " وَصَفَ نَفسَهُ تَعَالَى بَعدَ{رَبِّ العالَمِينَ}، بِأَنَّهُ{الرَّحمنِ الرَّحِيمِ}، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِ{رَبِّ العالَمِينَ} تَرهِيبٌ قَرَنَهُ

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي (١/ ٢٠٢).

بـ{الرَّحمنِ الرَّحِيمِ}، لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرغِيبِ، لِيَجمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَينَ الرَّهبَةِ مِنهُ، وَالرَّغبَةِ إِلَيهِ، فَيَكُون أَعوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمنَعَ، كَمَا قَالَ: ﴿ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٤٩ - ٥٠ . وَقَالَ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ غافر: ٣

وَفِي صَحِيحِ مُسلِمٍ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَو يَعلَمُ المُؤمِنُ مَا عِندَ اللَّهِ مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَو يَعلَمُ الكَافِرُ مَا عِندَ اللَّهِ مِنَ الرَّحمَةِ مَا قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ).[1]

الموضع الثالث:

اقترن الاسمان الجليلان في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦٣

وسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ صِف لَنَا رَبَّكَ، وَانسُبهُ! فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، وَسُورَةَ الإِخلَاصِ.[2]

فوصف الله نفسه بعد الوحدانية بالرحمة، وفي هذا تودُّدٌ للعباد وتطمين لقلوبهم وترغيبٌ لهم.

الموضع الرابع: حيث اقترن الاسمان الجليلان في البسملة الواردة في خطاب نبي الله سليمان لملكة سبأ

---

١ ــ الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٩). والحديث رواه مسلم في صحيحه ك التوبة . بَابٌ فِي سِعَةِ رَحمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَت غَضَبَهُ (٤/ ٢١٠٩) ح٢٣ - (٢٧٥٥) .

٢ ــ تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٤) والأسماء والصفات - البيهقي (٢/ ٣٨) ح ٦٠٦ ومعالم التنزيل، للبغوي (١/ ١٧٦). وزاد المسير في علم التفسير (١/ ١٢٨). ويراجع: الدر المنثور للسيوطي ٨/ ٦٧١- ٦٧٢ .

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ ﴾ النمل: ٣٠

دعاهم إلى الله تعالى، ورغّبهم في رحمته، ودلّ هذا على فضل البسملةِ وعراقتها، كما دلَّ على أن رسالة نبي الله سليمان مكلّلة بالرحمة، ومعنونة بها، وتلك رسالة جميع الأنبياء جاءوا بالرحمة، ودعوا إليها وعملوا من أجل نشرها، فجمعت الرسالة مع إيجازها بين الترغيب والترهيب، والتخويف والتحبيب.

الموضع الخامس: في مستهلّ سورة فصلت ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ ﴾

ودلّ هذا على أن القرآن كتاب الرحمة، جاء بالرحمة ودعا للرحمة، ونطق بالرحمة، وشريعته الغراء رحمةٌ كلها، ومن عمل به فهو مرحومٌ. قال تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ يونس: ٥٧

قال الرازي: «كون ذلك التَّنزِيلِ مِنَ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى كون ذلك التَّنزِيلِ نِعمَةً عَظِيمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الفِعلَ المَقرُونَ بِالصِّفَةِ لَا بُدَّ وَأَن يَكُونَ مُنَاسِبًا لِتِلكَ الصِّفَةِ، فَكَونُهُ تَعَالَى رَحمَانًا رَحِيمًا صفتان دَالَّتَانِ عَلَى كَمَالِ الرَّحمَةِ، فَالتَّنزِيلُ المُضَافُ إِلَى هَاتَينِ الصِّفَتَينِ لَا بُدَّ وَأَن يَكُونَ دَالًّا عَلَى أَعظَمِ وُجُوهِ النِّعمَةِ، وَالأَمرُ فِي نَفسِهِ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الخَلقَ فِي هَذَا العَالَمِ كَالمَرضَى وَالزَّمنَى وَالمُحتَاجِينَ، وَالقُرآنُ مُشتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ المَرضَى مِنَ الأَدوِيَةِ وَعَلَى كُلِّ مَا يَحتَاجُ إِلَيهِ الأَصِحَّاءُ مِنَ الأَغذِيَةِ، فَكَانَ أَعظَمُ النِّعَمِ عِندَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهلِ هَذَا العَالَمِ إِنزَالَ القُرآنِ عَلَيهِم »[1]

وقال:«كَونَهُ نَازِلًا مِن عِندِ الإِلَهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ يَدُلُّ عَلَى اشتِمَالِهِ عَلَى أَفضَلِ المَنَافِعِ وَأَجَلِّ المَطَالِبِ» [2]

---

١ ــ التفسير الكبير (٢٧/ ٥٣٨).

٢ ــ التفسير الكبير (٢٧/ ٥٤٠).

وقال أبو السعود :«ونسبةُ التنزيلِ إلى الرحمن الرحيمِ للإيذانِ بأنه مدارٌ للمصالحِ الدينيةِ والدنيويةِ واقعٌ بمقتضى الرحمةِ الربانيةِ حسبما ينبئ عنه قوله تعالى {وَمَا أرسلناك إِلاَّ رحمة للعالمين} [الأنبياء ١٠٧]».[1]

الموضع السادس: في سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وورود الاسمين الجليلين في هذا السياق وتقديمهما على باقي الصفات المذكورة؛ يؤكّد ويقرّر رحمة الله تعالى التي عليها مدار الخلق والتدبير.

وفي ورود الاسمين الجليلين مقترنين في ستة مواضع من كتاب الله ما يؤكد ويبرهن أنه كتاب الرحمة، فمن آمن به تخلّق بها وكان أهلا لرحمة الله في الدنيا والآخرة.

ولقد تكررت مادة رحم بمشتقاتها في القرآن قرابة مائتي مرة، فضلا عن نظائرها، وفي هذا ما يدل على أن رسالة القرآن ودعوته ومضمونه الرحمة.

---

١ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٢).

المبحث الثاني : التوَّابُ الرَّحِيمُ

اقتران الاسمين الجليلين "التواب الرحيم".

وقد ورد هذا الاقتران في ستة مواضع من سورتين كريمتين:

في سورة البقرة، تكرر هذا الاقتران في أربعة مواضع:

١. ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ البقرة: ٣٧

٢. ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ ﴾ البقرة: ٥٤

٣. ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾ البقرة: ١٢٨

٤. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ البقرة: ١٦٠

وفي سورة التوبة :

١. ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾ التوبة: ١٠٤

٢. ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ التوبة: ١١٨

يلاحظ التنوّع في الإخبار تارة باســم الله الظاهر وأن الله هو التواب الرحيم، وتارة بضـمير الغيبة، إنه هو التواب الرحيم، وتارة بضـمير المتكلم، وتارة بضـمير المخاطب، وكل هذا تقريرٌ وتأكيدٌ للاسمين الجليلين. والمواضع الست كلّها مدنية.

ولم يرد اسـم التواب معرّفا إلا مقترنا باسـم الله الرحيم، كذلك المواضـع التي جاءت بغير لام التعريف، كلها مقترنة باسـم الله الرحيم إلا في موضـع واحد، جاء مقترنا باسـم الله الحكيم، قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ النور: ١٠

لكنه جاء مستقلا في ختام سورة النصر، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ النصر: ٣

الموضع الأول ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧

وقد تأكَّدَ بالمؤكدات التالية: إنَّ - والجملة الاسميّة - وضمير الفصل - وصيغتي المبالغة، قال أبو حيان: «وَبُولِغَ أَيضًا فِي الصِّفَتَينِ بَعدَهُ، فَجَاءَ التَّوَّابُ: عَلَى وَزنِ فَعَّالٍ، وَالرَّحِيمُ: عَلَى وَزنِ فَعِيلٍ، وَهُمَا مِنَ الأَمثِلَةِ الَّتِي صِيغَت لِلمُبَالَغَةِ. وَهَذَا كُلُّهُ تَرغِيبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلعَبدِ فِي التَّوبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِطمَاعٌ فِي عَفوِهِ تَعَالَى وَإِحسَانِهِ لِمَن تَابَ إِلَيهِ. وَالتَّوَّابُ مِن أَسمَائِهِ تَعَالَى، وَهُوَ الكَثِيرُ القَبُولُ لِتَوبَةِ العَبدِ، أَوِ الكَثِير الإِعَانَةِ عَلَيهَا. وَقَد وَرَدَ هَذَا الِاسمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُعَرَّفًا وَمُنَكَّرًا، وَوَصَفَ بِهِ تَعَالَى نَفسَهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مِمَّا استَأثَرَ بِهِ تَعَالَى...والتَّوبَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى العَبدِ هِيَ العَطفُ وَالتَّفَضُّلُ عَلَيهِ، وَمِنَ العَبدِ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى، لِطَلَبِ ثَوَابٍ، أَو خَشيَةِ عِقَابٍ، أَو رَفعِ دَرَجَاتٍ. وَأَعقَبَ

الصِّفَةَ الأَولَى بِصِفَةِ الرَّحمَةِ، لِأَنَّ قَبُولَ التَّوبَةِ سَبَبُهُ رَحمَةُ اللَّهِ لِعَبدِهِ، وَتَقَدُّمُ التَّوَّابِ لِمُنَاسَبَةِ فَتَابَ عَلَيهِ، وَلِحُسنِ خَتمِ الفَاصِلَةِ بِقَولِهِ: الرَّحِيمُ. (١)

وألمح ابن عطية لفائدةٍ في اقتران الرحيم بالتواب، فقال «وفي قوله تعالى: إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ تأكيدٌ، فائدته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله، لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه».(٢)

ولقد استفاض الألوسي في هذا المقام فأجاد وأفاد، قال رحمه الله :"وفي الجملة الاسمية ما يقوي رجاء المذنبين، ويجبر كسر قلوب الخاطئين حيث افتتحها ب «أن» وأتى بضمير الفصل وعرف المسند وأتى به من صيغ المبالغة إشارة إلى قبوله التوبة كلما تاب العبد، ويحتمل أن ذلك لكثرة من يتوب عليهم، وجمع بين وصفي كونه توابا وكونه رحيما إشارة إلى مزيد الفضل، وقدم التَّوَّابُ لظهور مناسبته لما قبله، وقيل في ذكر الرَّحِيمُ بعده. إشارة إلى أن قبول التوبة ليس على سبيل الوجوب- كما زعمت المعتزلة- بل على سبيل الترحم والتفضل، وأنه الذي سبقت رحمته غضبه، فيرحم عبده في عين غضبه- كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبُعده سبب قُربه- فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه!"(٣)

وفي الجمع بين الاسمين{إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}: "وعد للتائب بالإحسان مع العفو".(٤)

وقد أفاد التذييل بالاسمين الجليلين أن رحمة الله عامة تشمل كلَّ من تاب وليس الأمرُ خاصًّا بآدم عليه السلام، كما قد يُتوهَّم، لمنزلته عند الله كما مرَّ في الآيات السابقة وغيرها. بل التوبة والرحمة لكل من تاب وأناب، ومن كل ذنب مهما كان. كذلك أفاد اقتران الرحيم

---

١ ــ البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٢٧٠).

٢ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ١٣١).

٣ ــ روح المعاني، الألوسي (١/ ٢٣٩).

٤ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ٧٣).

بالتواب: أن الله يقبل التائبين، ويشملهم برحمته، ويعمُّهم بفضله وإحسانه، حتى يلحقوا بمن لم يذنبوا.

وفي صيغة المبالغة ما يدل على أن الذنوب مهما كثرت وتكررت فالله تعالى يغفرها لمن تاب ويرحم عباده التائبين. واقتران التواب بالرحيم لتأكيد قبول التوبة وأنها رحمة من الله وتفضل منه سبحانه.

وتقديم التواب لأنه أنسب للسياق، وكذلك لمراعاة الفاصلة.

قال الألوسي:" وتقديم التوبة للمجاورة، وتأخير الرحمة لعمومها، ولكونها أنسب بالفواصل".[1]

□

١ ــ روح المعاني، الألوسي (١/ ٣٨٤). ويُراجع البحر المحيط لأبي حيان(١/ ٦٢٥).

الموضع الثاني

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ البقرة: ٥٤

ارتكب بنو إسرائيل ذنبا عظيما لا مبرّر لهم فيه سوى الهوى الجانح، والتمرُّد الجامح، فأمرهم الله على لسان نبيه موسى أن يتوبوا، وجعل طريق توبتهم أن يقتلوا أنفسهم، يقتل كل واحد نفسه أو يقتل بعضهم بعضًا، تكفيرا لاتخاذهم العجل إلها من دون الله، ووجه الرحمة هنا أنه تعالى جعل لهم طريقا للتوبة، ولو شاء لحرمهم منها بسبب هذه الكبيرة التي اقترفوها.

قال الطبري: وقَولُهُ: {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} : "يَعنِي الرَّاجِعَ لِمَن أَنَابَ إِلَيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَا يُحِبُّ مِنَ العَفوِ عَنهُ، وَيَعنِي بِالرَّحِيمِ: العَائِدَ إِلَيهِ بِرَحمَتِهِ المُنجِيَةِ مِن عُقُوبَتِهِ"[1]

وأشار الزركشي إلى ما في ختام هذه الآية من مؤكّدات ترغيبا لهم، فقال في معرض حديثه عن أسلوب التوكيد وأنواعه «وَمِنهَا: التَّرغِيبُ كَقَولِهِ: {فَتَابَ عَلَيكُم إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم} أَكَّدَهُ بِأَربَعِ تَأكِيدَاتٍ وَهِيَ إِنَّ وَضَمِيرُ الفَصلِ، وَالمُبَالَغَتَانِ مَعَ الصِّفَتَينِ لَهُ، لِيَدُلَّ عَلَى تَرغِيبِ اللَّهِ العَبدَ فِي التَّوبَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ طَمِعَ فِي عَفوِهِ »[2]

وأشار الألوسي إلى سر التعبير القرآني فقال:" {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} تذييل لقوله تعالى: فَتُوبُوا فإن التوبة بالقتل- لما كانت شاقة على النفس هوَّنها سبحانه بأنه هو الذي يوفق إليها ويسهِّلها، ويبالغ في الإنعام على من أتى بها، أو تذييل لقوله تعالى: {فَتابَ عَلَيكُم} وتفسر «التوبة» منه تعالى حينئذ بالقبول لتوبة المذنبين- والتأكيد لسبق الملوح- أو للاعتناء بمضمون الجملة".[3] وأضاف صاحب المنار: « (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) أَي

---

١ ــ جامع البيان، الطبري (١/ ٦٨٧).

٢ ــ البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٨٩). ونحوه ما ذكره السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٥٤).

٣ ـ روح المعاني، الألوسي (١/ ٢٦٢).

أَنَّهُ هُوَ وَحدَهُ الكَثِيرُ التَّوبَةِ عَلَى عِبَادِهِ بِتَوفِيقِهِم لَهَا وَقَبُولِهَا مِنهُم، وَإِن تَعَدَّدَت قَبلَهَا جَرَائِمُهُم، الرَّحِيمُ بِهِم، وَلَولَا رَحمَتُهُ لَعَجَّلَ بِإهلَاكِهِم بِبَعضِ ذُنُوبِهِمُ الكُبرَى وَلَا سِيَّمَا الشِّركُ بِهِ".

الموضع الثالث

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾ البقرة: ١٢٨

وهنا تساؤل: لماذا دعا نبي الله إبراهيم وأمَّن على دعائه ولده نبي الله إسماعيل أن يتوب الله عليه مستعطفا ومتوسِّلا باسم الله التواب الرحيم؟ أليست التوبة دائما تقترن بالذنوب والمعاصي؟

كما في الموضعين السابقين والموضع الرابع، حيث جاء الاسمان الجليلان في سياق ذكر معاصٍ اقترنت بالتوبة التي هي رحمة من الله، لترغيب العاصي في التوبة وتطمين التائب أن الله تعالى يتوب عليه.

فالأولى في تقرير قبول الله لتوبة آدم من الأكل من الشجرة، والثانية في بني اسرائيل لما اتخذوا العجل فدعاهم الله للتوبة ووعدهم بالمغفرة، والموضع الرابع بعد ذكر كبيرة الكتمان، أما في دعاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام فقد جاءت بعد طاعة!

ونحن هنا أمام طاعة! وأي طاعة! أليس هذا دليلا على حاجة جميع العباد للتوبة وافتقارهم إلى الرحمة، النبي والولي، الطائع والعاصي، كلنا بحاجة دائما إلى أن نتوب إلى الله، وبحاجة دائما إلى توبة الله علينا ورحمته بنا.

فالتوبة وإن كانت تقترن في الأصل بالذنوب، لكنها واجبة أيضا على المطيع، وليس أدل على ذلك من حديث نبينا المعصوم صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُم؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيهِ فِي اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ).[1]

---

١ ــ أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي موسى الأشعري (٢٧٠٢) (٤٢) ورواه أحمد في المسند (٢٩/ ٣٩٠ ط الرسالة) وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٥٢٧). (١٢٠٢) ، وابن أبي شيبة

قال أبو حيان : « وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مُنَاسِبَتَانِ لِأَنَّهُمَا دَعَوا بِأَن يَجعَلَهُمَا مُسلِمَينِ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا أُمَّةً مُسلِمَةً، وَبِأَن يُرِيَهُمَا مَنَاسِكَهُمَا، وَبِأَن يَتُوبَ عَلَيهِمَا. فَنَاسَبَ ذِكرُ التَّوبَةِ عَلَيهِمَا، أَوِ الرَّحمَةِ لَهُمَا. [1]

قال أبو السعود:" «{إِنَّكَ أَنتَ التواب الرحيم} وهو تعليلٌ للدعاء ومزيدُ استدعاء للإجابة، قيل إذا أراد العبدُ أن يُستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من أسمائه وصفاتِه»[2]

وقال القاسمي: "{وَتُب عَلَينا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} هذا الدعاء استتابة لما فرط من التقصير. فإن العبد، وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه، إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأولى، فالدعاء منهما، عليهما السلام، لأجل ذلك"[3]

الموضع الرابع

قال تعالي﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠

جريمة من أعظم الجرائم! تعمُّد كتمان الحق الذي لا غنى عن معرفته، كما وقع من أهل الكتاب، فصرفوا الناس عن اتباع الحق، وكتبهم حافلة بالبشارات الصريحة الواضحة، لكنهم كتموا وبدّلوا.

فبيّن الله عِظم هذا الذنب، وشناعته وسوء عاقبة من وقع فيه، ثم كعادة القرآن تقترن التوبة بكل ترهيب، وترد بعد كل ذنب، فالله يغفر الذنوب جميعا مهما عظُمت، ومهما قبُحت،

١٠/٢٩٨ و١٣/٤٦١-٤٦٢، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/٤٣، وفي الأدب (٦٢١) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٤٦) و (٤٤٧).

١ ــ البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢٥).

٢ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٦١).

٣ ــ تفسير القاسمي محاسن التأويل (١/ ٣٩٨).

فيستثني الله من الوعيد من تاب وبيّن وأصلح ويبشر بالتوبة عليه، ويؤكد في ختام الآية بذكر الوصفين الجليلين { وأنا التواب الرحيم}

"فأعلم الله عزَّ وجلَّ: أنه يقبل التوبة ويرحم ويغفر الذنب الذي لا غاية بعده".[1]

قال البيضاوي: "{فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيهِم} بالقبول والمغفرة. {وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة".[2]

وقال ابن كثير:" وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَى كَفرٍ، أَو بِدعَةٍ إِذَا تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيهِ"[3]

"والالتفاتُ إلى التكلم للافتنان في النظمِ الكريم مع ما فيه من التلويحِ والرمزِ إلى ما مرَّ من اختلاف المبدأ في فِعليه تعالى السابقِ واللاحِقِ. وَفِي صِيغَةِ المُبَالَغَةِ فِي التَّوَّابِ وَفِي الرَّحِيمِ مَعَ تَوسِيطِ ضَمِيرِ الفَصلِ، وَالتَّأكِيدِ، مِنَ التَّبشِيرِ لِعِبَادِهِ، وَالتَّرغِيبِ لَهُم، مَا لَا يَخفَى".[4]

قال الشوكاني: " {وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} يَصِفُ نَفسَهُ سُبحَانَهُ بِكَثرَةِ الرُّجُوعِ وَالتَّوبَةِ، لِلإِيذَانِ بِالتَّكرَارِ، كُلَّمَا أَذنَبَ العَبدُ وَتَابَ، حَتَّى لَا يَيئَسَ مِن رَحمَةِ رَبِّهِ إِذَا هُوَ عَادَ إِلَى ذَنبِهِ، فَأَيُّ تَرغِيبٍ فِي ذَلِكَ أَبلَغُ مِن هَذَا وَأَشَدُّ تَأثِيرًا مِنهُ لِمَن يَشعُرُ وَيَعقِلُ!"[5]

أما في سورة التوبة فقد تكرر هذا الاقتران في موضعين:

الموضع الأول: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

---

١ ــ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٣٥).

٢ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١١٦).

٣ ــ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٧٣).

٤ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٨٣).

٥ ــ فتح القدير للشوكاني (٢/ ٤٥٥)، تفسير المنار (٢/ ٤١).

"أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه {يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ} التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح"[1]

وَقَولُهُ تَعَالَى:{هُوَ}" تَأكِيدٌ لِانفِرَادِ اللَّهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الأُمُورِ؛ وَتَحقِيقُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَو قَالَ: إنَّ اللَّهَ يَقبَلُ التَّوبَةَ لَاحتَمَلَ أَن يَكُونَ قَبُولُ رَسُولِهِ قَبُولًا مِنهُ، فَبَيَّنَتِ الآيَةُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصِلُ إلَيهِ نبي ولا مَلَك ... وَقَولُهُ: {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} عَطفٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقبَلُ التَّوبَةَ، تَنبِيهًا عَلَى أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ العِلمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَفعَلُ ذَلِكَ يَجِبُ العِلمُ بِأَنَّ مِن صِفَاتِهِ العُلَى أَنَّهُ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، أَيِ المَوصُوفُ بِالإِكثَارِ مِن قَبُولِ تَوبَةِ التَّائِبِينَ، الرَّحِيمُ لِعِبَادِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ قَبُولَ التَّوبَةِ مِنَ الرَّحمَةِ فَتَعقِيبُ التَّوَّابُ بِ الرَّحِيمُ فِي غَايَة المُنَاسبَة".[2]

الموضع الثاني:

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ التوبة: ١١٨

بيّن الله تعالى قبول توبته لأولئك الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر، لكنهم لم يلجؤوا للكذب كما فعل بعض المنافقين، فنجَّاهم صدقُهم، وإن طالت محنتُهم بهجر الرسول لهم وأمره باعتزالهم، حتى أنزل الله توبتهم.

وقد جاءت هذه الآية مقترنة بسابقتها التي جاءت فيها البشارة بالتوبة العامة، اً

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ

---

١ ــ تيسير الكريم الرحمن السعدي (ص٣٥١). عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِن أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا » صحيح مسلم كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها (٤/ ٢١٠٢) وللحديث رواية أخرى مفصّلة برقم ٣ - (٢٧٤٤).

٢ ــ التحرير والتنوير (١١/ ٢٥).

مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾

التوبة: ١١٧

"فَصِيغَةُ المُبَالَغَةِ (التَّوَّابُ) تَتَحَقَّقُ بِكَثْرَةِ التَّائِبِينَ، وَبِتَكرَارِ التَّوبَةِ مِنَ المُذنِبِ الوَاحِدِ الَّذِي يَمنَعُهُ الْخَوْفُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُصِرَّ عَلَى ذَنْبِهِ".[1]

وكلاهما لتأكيد قبول الله للتائبين، فمن رحمته أن فتح لهم باب التوبة ومن رحمته أن قبل توبتهم.[2]

اقتران اسم الله الرحيم مجردا من لام التعريف باسم الله "تواب" :

وقد جاء في موضع واحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الحجرات: ١٢

وفيه حثٌّ على الإقلاع عن هذه الذنوب، ومبادرة للتوبة منها، وطمأنة لمن تاب، بأن الله يتوب عليه ويقبله.

١ ــ تفسير المنار (١١/ ٢٧).

٢ ــ البحر المحيط في التفسير (٥/ ٥١٧).

المبحث الثالث : الغَفُورُ الرَّحِيمُ

المطلب الأول: اقتران الاسمين الجليلين " الغفور الرحيم" معرّفين.

اقترن الاسمان الجليلان في سبعة مواضع متفرقة:

١. ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧

٢. ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ يوسف: ٩٨

٣. ﴿ * نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ الحجر: ٤٩

٤. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص: ١٦

٥. ﴿ * قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

٦. ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الشورى: ٥

٧. ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ الأحقاف: ٨

اقترانه بغير لام التعريف: واقترن الاسمان الجليلان (غفور رحيم) في اثنتين وأربعين موضعا في كتاب الله، متفرقة في السور المكية والمدنية.

حكمة الاقتران : في اقتران الاسمين الجليلين : الغفور الرحيم تأكيد لرحمة الله ومغفرته لعباده، حيث العبد بحاجة لمزيد تأكيد يقوّي رجاءه برحمة ربه ويطمئن قلبه، ويسكّن بلابله، ويبرّد لهيب فؤاده حين يكويه سعيرُ الشعور بالذنب، والخوف من النار، فيقبل على ربّه تائبًا، لمغفرته طالبًا، ولرحمته راجيًا.

تقديم الغفور على الرحيم: في المواضع السبع، من باب التخلية قبل التحلية. ولتأكيد المغفرة، وتقبل الله للتائب، وأنه لا يُحرم من رحمة الله بما سلف من ذنبه، فالله يعامله معاملة من لا ذنب له، وهذا من رحمته تعالى به.

الموضع الأول

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧

لما بين في الآية السابقة أن الأصنام لا تضرّ ولا تنفع، بين هنا أن الذي يملك الضر والنفع هو الله، ومن رحمته وغفرانه تعالى أنه لا يحرم من فضله عباده المذنبين التائبين، فيتجاوز عنهم ويقبلهم ويصطفيهم بفضله، ومن رحمته وغفرانه أنه لا يعجّل العصاة بالعقوبة بل يمهلهم، لعلهم يتوبون .

"يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء، والسراء والضراء من يشاء، ويريد من عباده، وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده، من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته، الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والإنابة"[1]

قال أبو حيان:" ثم أخبر بالصفتين الدالتين على عدم المؤاخذة وهما: الغفور الذي يستر ويصفح عن الذنوب، والرحيم الذي رحمته سبقت غضبه".[2]

والتذييل بجملة: {وهو الغفور الرحيم} "يُشِيرُ إِلَى أَنَّ إِعْطَاءَ الْخَيْرِ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ وَتَجَاوُزٌ مِنْهُ تَعَالَى عَنْ سَيِّئَاتِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَتَقْصِيرِهِمْ وَغَفَلَاتِهِمْ، فَلَوْ شَاءَ لَمَا تَجَاوَزَ لَهُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَتَوَرَّطُوا كُلُّهُمْ. وَلَوْلَا غُفْرَانُهُ لَمَا كَانُوا أَهْلًا لِإِصَابَةِ الْخَيْرِ" [3]

الموضع الثاني:

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ يوسف: ٩٧ ـ٩٨

---

١ ــ جامع البيان، الطبري. (١٢/ ٣٠٥).

٢ ــ البحر المحيط في التفسير (٦/ ١١٣).

٣ ــ التحرير والتنوير (١١/ ٣٠٧)

يقوي نبي الله يعقوب رجاء أبنائه الذين أخطأوا في حق أخيهم يوسف وكادوا له أشدّ كيد، ثم ها هم الآن وقد استيقظت ضمائرهم، وأعلنوا الندم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم، فأجاب الأب العطوف بأنه سيفعل ذلك متعلقا برحمة ربه وغفرانه، متشبّثا بأنه تعالى الغفور الرحيم، مؤكّدا ذلك، تودُّدًا لأبنائه وعطفًا عليهم وتوسُّلا لله وتزلُّفا له سبحانه بهذين الاسمين الجليلين المناسبين لهذا المقام، وفيه تسكينٌ لقلوبهم، وتطمينٌ لنفوسهم التي آلمتها الحسرة وأمَضَّها الندم وأثقلها الشعور بالذنب.

الموضع الثالث:

قال تعالي ﴿ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٤٩ ـ ٥٠

" لَمَّا أَمَرَ سُبحَانَهُ رَسُولَهُ بِأَن يُخبِرَ عِبَادَهُ بِهَذِهِ البِشَارَةِ العَظِيمَةِ، أَمَرَهُ بِأَن يَذكُرَ لَهُم شَيئًا مِمَّا يَتَضَمَّنُ التَّخوِيفَ وَالتَّحذِيرَ حَتَّى يَجتَمِعَ الرَّجَاءُ وَالخَوفُ، وَيَتَقَابَلَ التَّبشِيرُ وَالتَّحذِيرُ لِيَكُونُوا رَاجِينَ خَائِفِينَ".[1]

جاء التعبير بهذا الأسلوب الأخَّاذ الذي يثير الانتباه ويهيّج الأشواق لمعرفة هذه الخبر العظيم، وفي قوله عبادي ما فيه من تودُّدٍ وتلطُّف وتطمينٌ

وجاء التأكيد بأن وضمير الفصل والاسمية وصيغة المبالغة، وتعريف طرفي الجملة، لتقوية رجاء العباد، وحفزهم ليستحثُّوا الخُطَى على طريق التوبة، فهو تعالى وحده الغفور الرحيم، كامل المغفرة والرحمة.

فعلى العبد أن يطير بجناحي الرهبة والرغبة، موازنا بينهما، وينظر بعيني الخوف والرجاء، ليمتلئ قلبه بالمحبة والتعظيم.

الموضع الرابع:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾

القصص: ١٦

---

١ ــ فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٦١).

وفي هذا التذييل تأكيد، وتعليل، وتعميم، أكد الله تعالى مغفرته لنبيِّه موسى مما وقع فيه، فهو تعالى الذي من شأنه المغفرة والرحمة، وأفاد التذييل عموم ذلك على كل من تاب واستغفر. وقد استشعر موسى في نفسه أن الله تعالى قد غفر له؛ بدليل تماديه في الدعاء

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ ﴾ القصص: ١٧

الموضع الخامس:

﴿ * قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ الزمر: ٥٣

وهذه الآية من أرجى الآيات وأحبها لنفوس التائبين، وبدايتها بالنداء الذي يدل على محبة الله بعباده وعطفِه عليهم، ثم ختامها بالاسمين الجليلين: الغفور الرحيم، لزيادة تطمين العصاة، وتقوية رجاء المذنبين، في التوبة، مع التأكيد بحرف التوكيد مرتين، ليزداد العبد إقبالا ورجاء.

الموضع السادس:

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ الشورى: ٥

جاء ختامُ الآية مبيّنا قبول الله لاستغفار الملائكة، وأنه تعالى حقيقٌ بأن يُستغفر ويُسترحم، وأن يغفِر ويرحَم، وأن الله تعالى لا تتوقف مغفرته ورحمته على استغفار الملائكة، وفي الختام كذلك ما يوحي باستجابة الله لاستغفار ملائكته الأبرار.

«... وَالمَقصُودُ التَّنبِيهُ عَلَى أَنَّ المَلَائِكَةَ وَإِن كَانُوا يَستَغفِرُونَ لِلبَشَرِ إِلَّا أَنَّ المَغفِرَةَ وَالرَّحمَةَ المُطلَقَةَ لِلحَقِّ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى .... {أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ} يَعنِي أَنَّهُ يُعطِي المَغفِرَةَ الَّتِي طَلَبُوهَا وَيَضُمُّ إِلَيهَا الرَّحمَةَ الكَامِلَةَ التَّامَّةَ».[1]

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي (٢٧/ ٥٧٩).

قال القرطبي:" قَالَ بعض العلماء: هيّب وعظّم عز وجل في الابتداء، وألطف وبشَّر في الانتهاء».[1]

الموضع السابع:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ الأحقاف: ٨

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ : ترغيبٌ لهم في التوبة إلى الله تعالى فباب التوبة مفتوحٌ، مهما عظُم الذنبُ، وهذا من رحمة الله بعباده . قال الزجاج :"معناه أنه مَن أَتَى من الكبائر العِظَام ما أتيتُم به من الافتراء على اللَّه جلَّ وَعَلا - ثم تاب فإن الله غفورٌ رَحيمٌ له».[2]

قال أبو حيان: "عِدَةٌ لهم بالغفرانِ والرحمةِ إن رجعوا عن الكفر، وإشعارٌ بحلمِهِ تعالى عليهم، إذ لم يعاجلهم بالعقابِ، إذ كان ما تقدم تهديداً لهم في أن يعاجلهم على كفرهم ".[3]

ونظير هَذِهِ الآيَة قَولِه عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَة الفُرقَان ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان: ٥ - ٦

فدائما يفتح الله باب التوبة لمن تاب من أي ذنب مهما عظم، وهل هناك أعظم من الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم! بادعاء أنه افترى القرآن!

المطلب الثاني: اقتران الاسمين الجليلين "غفور رحيم" بدون لام التعريف.

وقد ورد هذا كثيرا في القرآن في اثنين وأربعين موضعا، وفي سياقات متعددة، تدور حول التيسير ورفع الحرج وقبول توبة التائبين، ولا يتسع البحث للوقوف عند كل آيةٍ، ولكني سأكتفي بذكر المعاني الإجمالية:

---

١ ـ الجامع لأحكام القرآن القرطبي، (١٦/ ٥).

٢ ـ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٣٩).

٣ ـ البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٤٧).

في سياق الحديث عن التيسير ورفع الحرج

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ البقرة: ١٨٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ المجادلة: ١٢

في سياق الحديث عن التوبة والاستغفار من ذنب أو من تقصير محتمل

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ البقرة: ١٩٩

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٦

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ آل عمران: ٨٩

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ المائدة: ٣٤

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ المائدة: ٣٩

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ المائدة: ٧٤

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾ البقرة: ١٩٢

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ ﴾ الأنعام: ٥٤

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ ﴾ الأعراف: ١٥٣

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢ ﴾ التوبة: ١٠٢

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ ﴾ النمل: ١١

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾ الحجرات: ٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ الحديد: ٢٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الممتحنة: ١٢

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ﴾ المزمل: ٢٠

بيان فضل الله تعالى بتجاوزه وتخفيفه وتوبته

﴿ * قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤ ﴾ الحجرات: ١٤

﴿ * عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ الممتحنة: ٧

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

التوبة: ٩١

الحض على العفو والصفح عن الآخرين

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

النور: ٢٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤

في سياق عتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومغفرة الله ورحمته به

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

التحريم: ١

في سياق الحديث عن الجنة

﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فصلت: ٣٢

فإنه لا يدخل أحدٌ الجنة إلا بمغفرة الله ورحمته، فإذا دخل الجنة أنساه ذنوبه حتى لا تكدر عليه صفو النعيم، وعمّه برحمته، فالجنة رحمة الله وفضله.

المبحث الرابع : الرَّحِيمُ الغَفُورُ

جاءت كل المواضع في القرآن بتقديم اسم الله الغفور، لأن المغفرة مطلوب العبد أولا، أن يطهّره الله من ذنبه، ثم الرحمة بعد ذلك مطمعه أن يدخله جناته، وجمع بينهما كما جمع بين التواب الرحيم؛ لتقوية رجاء العبد، وتبديد ما قد يتطرق للعصاة من يأس وقنوط، قال تعالى ﴿ * قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣.

أما في سورة سبأ فلقد جاء النظم مغايرا للمعهود؛ حيث تقدمت الرحمة على المغفرة، فكان هذا من تفنُّن القرآن وكمال أساليبه، فضلا عن رعاية الفاصلة، ومراعاة السياق، فالحديث عن تدبيره تعالى لملكه وإحاطة علمه بخلقه، فناسب تقديم الرحمة كما وردت في سورة الفاتحة بعد بيان ربوبية الله لجميع العوالم.

والرحمة تعمُّ جميع الخلائق بينما المغفرة لمن تاب وأناب، فقدم العام على الخاص، فالرحمة عامة لكل مخلوق، والمغفرة للعصاة والمقصّرين.

وللإمام الرازي هنا لمحاتٌ رائعة: "{وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ} رَحِيمٌ بِالإِنزَالِ حَيثُ يُنزِلُ الرِّزقَ مِنَ السَّمَاءِ، غَفُورٌ عند ما تَعرُجُ إِلَيهِ الأَروَاحُ وَالأَعمَالُ، فَرَحِمَ أَوَّلًا بِالإِنزَالِ، وغفر ثانيا عند العروج".[1]

وقال في موضوع آخر: " وَقَد ذَكَرنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي بَعضِ المَوَاضِعِ الغُفرَانَ قَبلَ الرَّحمَةِ، كَمَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَذَكَرَ الرَّحمَةَ قَبلَ المَغفِرَةِ فِي سُورَةِ سَبَإٍ فِي قَولِهِ وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ [سَبَإٍ: ٢] فَحَيثُ قَالَ: غَفُورٌ رَحِيمٌ أَي يَغفِرُ سَيِّئَاتِهِ ثُمَّ يَنظُرُ إِلَيهِ فَيَرَاهُ عَارِيًا مُحتَاجًا فَيَرحَمُهُ وَيُلبِسُهُ لِبَاسَ الكَرَامَةِ وَقَد يَرَاهُ مَغمُورًا فِي السَّيِّئَاتِ فَيَغفِرُ سَيِّئَاتِهِ، ثُمَّ يَرحَمُهُ بَعدَ المَغفِرَةِ، فَتَارَةً تَقَعُ الإِشَارَةُ إِلَى الرَّحمَةِ الَّتِي بَعدَ المَغفِرَةِ فَيُقَدِّمُ المغفِرَةَ،

---

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ١٩٢).

وَتَارَةً تَقَعُ الرَّحمَةُ قَبلَ المَغفِرَةِ فَيُؤَخِّرُهَا، وَلَمَّا كَانَتِ الرَّحمَةُ وَاسِعَةً تُوجَدُ قَبلَ المَغفِرَةِ وبعدها ذكرها قبلها وبعدها"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" قدَّم هنا (الرَّحيم) على (الغَفور)، وإن كان الأكثرُ في القرآن تَقديمَ (الغَفور) على (الرَّحيم)؛ لِما يَكون في السماء والأرض مِنَ المَصالِح والمَنافِع من آثار الرحمة، ودفعُ المَصائِب من آثار المَغفِرة؛ لأنَ المَغفِرة: مَحوُ الذنب الذي تَزول فيه المَكروهات، والرحمة: حُصول الخير".[2]

الرحيم ابتداء والغفور انتهاء فرحمته تصل العباد قبل أن يذنبوا ومغفرته تتداركهم بعد الذنوب.

وقال السهيلي: «وأما قوله: (وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ) في (سبأ)، فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة، إما بالفضل والكمال، وإما بالطبع، لأنها منتظمة بذكر أوصاف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص كقوله تعالى: (فَاكِهَةٌ وَنَخلٌ وَرُمَّانٌ) .وكقوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبرِيلَ وَمِيكَالَ) . افتتح بالعموم، الذي هو متقدم بالطبع على الخصوص».[3]

فكل العباد بحاجة للرحمة، أما المغفرة فللعصاة والمذنبين والمقصرين والمتجاوزين، فلما عمّ الكلام جميع الخليقة ناسب تقديم الرحمة التي لا يستغني عنها موجود، وهي منبع الوجود، ومنبع الكرم والجود ، ثم المغفرة التي تخص المسرفين والمفرّطين.

---

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨/ ٩٧).

٢ ـ تفسير العثيمين سورة سبأ (ص٢٥)، وينظر: التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٧٧٥).

٣ ــ نتائج الفكر في النحو للسهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) ص(٢١٣).

المبحث الخامس : البَرُّ الرَّحِيمُ

اقتران الاسمين الجليلين " البر الرحيم"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الطور

حين يدخل أهل الجنة وينالون الكرامة، ويتقلبون في النعيم، ويجتمعون في مجالس الأنس والحبور، يسأل بعضهم بعضا عما قدَّم في دنياه وأسلف في أيامه الخوالي، فيكون هذا الجواب، كما قال تعالى في سورة الطور

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الطور

ولم يقترن اسم الله الرحيم باسمه البَرّ إلا في هذا الموضع، بل لم يرد اسم الله البّر إلا هاهنا في هذا السياق، فما معنى هذا الاسم الجليل ؟ وما سر اقترانه؟

بداية تستوقفنا قراءتان، الأولى بكسر إنّ والأخرى بفتحها: { إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ }، { أَنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ }!

قرأ نافع والكسائي بالفتح على تقدير لام العلة: لأنه هو البر الرحيم، أو لكونه برًّا رحيماً، والباقون بالكسر: إنه هو البر الرحيم على أنه تعليل مستأنف مؤكد.(١)

واسم الله البر يعني المحسن، ومنه البِرّ: الإحسان، فالله تعالى هو المحسن المتفضل على عباده الرحيم بهم، المتعهّد لهم، كلَّفهم باليسير وأثابهم الثواب الجزيل، وعدهم بالمغفرة والرضوان، ووفّى لهم، فبَرَّ سبحانه بما وعد ووفَّى، وهو تعالى الذي تقبّل من عباده، ومنه الحج المبرور أي المتقبَّل، أو الموافق لأعمال البر، وكل مبرّةٍ وإحسان من الله تعالى؛ فهو البرُّ سبحانه، برَّ عباده المؤمنين بالنعم والهبات.

---

١ ــ معاني القرآن للفراء ٣/ ٩٣، السبعة في القراءات ١/ ٣٢٤، الحجة في علل القراءات السبع ٤/ ٣٨١ .

قال الزجاج:" وَالله تَعَالَى بَرٌّ بخلقه فِي معنى أَنه يحسن إِلَيهِم وَيصلح أَحوَالهم»[1]

وفي اللسان: "والبَرُّ، مِن صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: العَطُوفُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الكَرِيمُ..."[2]

ومن "بره بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار".

« البَرُّ الرَّحِيمُ» بعباده يحسن إليهم ويعطيهم أكثر مما يستحقون بمنِّه وفضله.[3]

---

١ ـ تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٦١).

٢ ـ لسان العرب (٤/ ٥٢).

٣ ـ بيان المعاني (٤/ ٣٨٧).

المبحث السادس : اقتران الاسمين الجليلين رؤوف رَّحِيمٌ

اقترن اسم الله الرحيم مع الرؤف في ثمانية مواضع، وجاء الرؤف منفردًا في موضعين، والمواضع العشر بغير لام التعريف، وعلى صيغة فعول الدالة على المبالغة، فجاء مفردًا في موضعين:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ البقرة: ٢٠٧

﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾ آل عمران: ٣٠

وباقي المواضع جاء مقترنًا: فاقترنت صفة الرحمة بالرأفة، في ثمانية مواضع، ضمن سياقات مختلفة. ولم تقترن الرأفة إلا بالرحمة.

ورغم تقارب معنى الصفتين، إلا أنَّ بينهما فرقًا دقيقًا؛ فالرحمة قد تصل ويصاحبها ألمٌ أو مشقة، كالطبيب يُعمل مِبْضَعَه في بطن المريض أو صدره، أو الممرض يحقن المريض، ومع ذلك فهذا الفعل وذاك من الرحمة، وكذلك أحكام الشريعة كلها رحمة، وإن لم تخلُ من مشقة. بينما الرأفة قد تمنع من العقوبة المستحقة، أو تخفِّفها بما لا يؤدِّي غرضَها، ولذا قال تعالى {وَلا تَأْخُذْكُم بِهِما رَأفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النُّورِ: ٢] فهي زيادةٌ في العطف والحدب، كخوف الأب على ابنه وإشفاقه عليه من الألم، مما يمنعه من عقوبته.

ومما ورد في كتاب الفروق لأبي هلال العسكري: "الرأفة أشد الرحمة، وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة، والرأفة أقوى منها في الكيفية، لأنها عبارة عن إيصال النعم صافيةً عن الألم".[1]

قال الرازي رحمه الله" قَالَ القَفَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الفَرقُ بَينَ الرَّأفَةِ وَالرَّحمَةِ: أَنَّ الرَّأفَةَ مُبَالَغَةٌ فِي رَحمَةٍ خَاصَّةٍ، وَهِيَ دَفعُ المَكرُوهِ وَإِزَالَةُ الضَّرَرِ، كَقَولِهِ: {وَلا تَأْخُذْكُم بِهِما رَأفَةٌ

---

١ ــ معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص٢٤٦) ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي (٤/ ٩٣).

فِي دِينِ اللَّهِ} [النُّورِ: ٢] أَي لَا تَرأَفُوا بِهِمَا فَتَرفَعُوا الجَلدَ عَنهُمَا، وَأَمَّا الرَّحمَةُ فَإِنَّهَا اسمٌ جَامِعٌ يَدخُلُ فِيهِ ذَلِكَ المعنَى، ويدخل فيه الإفضال وَالإِنعَامُ، وَقَد سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى المطَرَ رَحمَةً فَقَالَ: {وَهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ بُشراً بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ} [الأَعرَافِ: ٥٧] لِأَنَّهُ إفضَالٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنعَامٌ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّأفَةَ أَوَّلًا بِمَعنَى أَنَّهُ لَا يُضِيعُ أَعمَالَهُم، وَيُخَفِّفُ المِحَنَ عَنهُم، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّحمَةَ، لِتَكُونَ أَعَمَّ وَأَشمَلَ، وَلَا تَختَصُّ رَحمَتُهُ بِذَلِكَ النَّوعِ، بَل هُوَ رَحِيمٌ مِن حَيثُ إِنَّهُ دَافِعٌ لِلمَضَارِّ الَّتِي هِيَ الرَّأفَةُ، وَجَالِبٌ لِلمَنَافِعِ مَعًا".[1]

الموضع الأول : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ البقرة: ١٤٣

نزلت فيمن مات قبل أن تتحوَّل القبلةُ للبيت الحرام، أن صلاته مقبولة، لن يضيّعها الله، ودلت كلمة إيمانكم على مدح صلاتهم، فهي برهان صدقهم، وعلامة إيمانهم، والصلاة جوهر الإيمان، وهذه المنّة من رأفة الله ورحمته بعباده، أن لا يضيع لهم صلاتهم، وإن لم يتوجه بعضهم إلى الكعبة مطلقًا، وكذلك لا يضيّع عملا صالحًا للعبد وإن قصّر فيه.

قال الرازي: " ذَكَرُوا فِي وَجهِ تَعَلُّقِ هَذَينِ الِاسمَينِ بِمَا قَبلَهُمَا وُجُوهًا. أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَخبَرَ أَنَّهُ لَا يُضِيعُ إِيمَانَهُم قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ} وَالرَّءُوفُ الرَّحِيمُ كَيفَ يُتَصَوَّرُ مِنهُ هَذِهِ الإِضَاعَةُ. وثانيها: أنه لرؤف رَحِيمٌ فَلِذَلِكَ يَنقُلُكُم مِن شَرعٍ إِلَى شَرعٍ آخَرَ، وَهُوَ أَصلَحُ لَكُم وَأَنفَعُ فِي الدِّينِ وَالدُّنيَا...".[2]

"وقدّم ذكر الرأفة على الرحمة؛ لأن الرأفة أقرب للسياق، وأنسب للمقام، فمن رأفته تعالى أنه لا يؤاخذ العبد بما لم يتمكّن من فعله، كحال هؤلاء الذين ماتوا ولم يصلّ بعضهم قطّ نحو الكعبة، فهذا من رأفته تعالى بهم، فضلا عن رحمته تعالى العامة والشاملة، فضلا عن تحويل القبلة، والذي كان من أسبابها جبرُ قلب نبينا صلى الله عليه وسلم. قال تعالي

١ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (٤/ ٩٤).

٢ ــ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/ ٩٤).

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ البقرة: ١٤٤

الموضع الثاني

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التوبة: ١١٧

فمن رأفته ورحمته توبته على عباده المؤمنين، وهذه رأفة ورحمة خاصة بأوليائه، يوفِّقهم للتوبة ويقبلها منهم جلّ وعلا.

وفي تفسير المنار: " {إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيمٌ}: وَهَذَا تَعلِيلٌ لِقَبُولِ تَوبَتِهِم؛ فَالرَّأفَةُ العِنَايَةُ بِالضَّعِيفِ وَالرِّفقُ بِهِ وَالعَطفُ عَلَيهِ. وَالرَّحمَةُ أَعَمُّ وَأَوسَعُ".[1]

الموضع الثالث:

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ النحل: ٧

اقترن الاسمان الجليلان في سياق الحديث عن لطف الله بخلقه، حيث ورد في مطلع سورة النحل، سورة النعم بعد ذكر عديد من النعم، كيف يسَّر الله لخلقه العيش في حلِّهم وترحالهم،﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ النحل: ٧

ومن بلاغة الختم : التعبير بالاسمية المفيد للتوكيد والثبات؛ فأسماء الله تعالى ثابتة، والتوكيد بإنَّ واللام الداخلة على خبرها، وفي تقديم الرؤوف لمناسبة تجلّي مظاهر رأفته

---

١ ــ تفسير المنار (١١/ ٥٣).

تعالى لهم في تذليل الأنعام، وجعلها مركبًا ليّنًا وآمنًا للبشر في الأسفار البعيدة، فضلا عن نقل أثقالهم من البضائع والحاجيات. قال صاحب روح البيان: "حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وأنعمها عليكم لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم" [1]

الموضع الرابع:

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ النحل: ٤٥ ـ٤٧

وتلك منّة أخرى ونعمةٌ عظمى تنتظم في سلك سورة النّعم، وهي إمهال الله لعباده لا يعاجلهم بعقوبة بل يؤخّرهم، مع قدرته عليهم؛ لا يعجزه تعالى شيء، فهو إن شاء أخذهم في أي وقت وأي حال، لكنه تعالى لا يعاجل العصاة بالعقوبة، بل يمهلهم ويرحم التائبين ويغفر لهم، قال النسفي: "{فَإِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم. والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم"[2]

الموضع الخامس: قوله تعالى في سورة الحج ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ الحج: ٦٥

وهنا نتأمّل : كيف يلطف الله بنا! نعيش على ظهر الأرض، حياة مستقرة، وهو الكوكب الوحيد من حولنا الصالح للحياة، والآهل بالسكّان، بينما الحياة على غيره مستحيلة.

---

١ ــ روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي (٥/ ٨). ويراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٩٥).

٢ ــ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢١٥).

قال ابن جرير :" ...فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك» ".[1]

وقال الشوكاني: " {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ} أَي: كَثِيرُ الرَّأفَةِ وَالرَّحمَةِ حَيثُ سَخَّرَ هَذِهِ الأُمُورَ لِعِبَادِهِ، وَهَيَّأَ لَهُم أَسبَابَ المَعَاشِ، وَأَمسَكَ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ فَتُهلِكُهُم تَفَضُّلًا مِنهُ عَلَى عِبَادِهِ وَإِنعَامًا عَلَيهِم".[2]

الموضع السادس

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ النور: ٢٠

وهذا شرط جوابه محذوف، وقد عُلم من السياق أنه تعالى لولا ما سبق من فضله ورحمته، وما اتصف به سبحانه من الرأفة والرحمة لعجّل بعقوبة العاصي، والآية ضمن ما نزل في تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والتشنيع على من أفاض في حديث الإفك وردّده، وقد جاء قبلها ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور: ١٤ ـ ١٥

قال الطبري "ولولا أن تفضَّل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة، ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه، وعاجلتكم من الله العقوبة. وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده".[3]

الموضع السابع

قال تعالي﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ الحديد: ٩

---

١ ـ جامع البيان (١٦/ ٦٢٥).

٢ ــ فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥١).

٣ ــ جامع البيان، الطبري (١٧/ ٢٢١).

فالقرآن الكريم رأفة ورحمة للمؤمنين، لأنه سبيل عصمتهم ونجاتهم من ظلمات الكفر والهوى والغواية إلى نور الإيمان والهدى والرشاد، وشريعة القرآن شريعة الرحمة وشريعة الرأفة فيها من التخفيف على العباد والرُّخص لهم، ومراعاة أصحاب الأعذار، ومراعاة ضعف البشر وطبيعتهم، فهي رحمة مشفوعة بالرأفة.

الموضع الثامن

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر: ١٠

جاء الاسمان الجليلان هنا في الدعاء، توسُّلا لله تعالى بهما، فمن باب التوسل المشروع التوسل بأسماء الله الحسنى، وناسب هذا طلب المغفرة لهم وللمؤمنين، فبرأفته بهم ورحمته يغفر لهم، وبرحمته ورأفته يملأ قلوبهم رأفة ورحمة بإخوانهم.

ومما سبق يتبين لنا: أن هناك رحمة ورأفة عامة تشمل جميع الخلائق، فيعيشون في أمن واستقرار، ولطف، ولا يعجل الله العقوبة للعاصي بل يمهله لعله يرجع ويتوب، فإذا تاب قبله ورحمه، وهناك رأفة ورحمة خاصة بعباد الله الصالحين، أنه تعالى يتوب عليهم ويرحمهم، ويخفف عنهم وييسّر معايشهم، ويتجاوز عنهم.

المبحث السابع : رَّحِيم ودود

وجاء اسم الله الودود في موضع واحد مقترنا بالغفور، قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ﴾ [البروج: ١٣، ١٤].

جمع الخطاب في سورة البروج بين الترهيب والترغيب، فالله تعالى لا يغلق باب التوبة أمام أحد مهما عظُم ذنبه وساء جرمُه.

بينما اقترن الاسمان الجليلان الرحيم الودود- بغير لام التعريف- في موضعٍ واحد، قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ [هود: ٩٠].

وقد وردت هذه الآية الكريمة في قصة شعيب عليه السلام وهو يدعو قومه للإيمان بالله تعالى وحده، يحبّبهم ويرغّبهم، ويقرّبهم من الله تعالى الذي يشمل عباده برحمته، ويتودَّد إليهم بالنِّعم. فيقول لهم: بادروا باستغفار الله تعالى قبل فوات الأوان وانصرام الأزمان، ثم استقيموا على طريق التوبة الذي دعوتكم إليه، إن ربي الذي يتولاني ويتعهَّدني رحيم بمن رجع وأناب، يتودَّدُ لعباده بما يقرِّبهم ويرغِّبهم، ويحبُّ المؤمنين ويحبُّونه.

قال ابن القيم: "وفيه سرٌّ لطيفٌ؛ وهو أنه يحب التوابين، وأنه يحبُّ عبده بعد المغفرة، فيغفر له ويحبه، كما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، فالتائب حبيب الله، فالودُّ أصفى الحب وألطفه".[١]

والودود اسم من أسماء الله الحسنى، جاء على صيغة فعول للمبالغة والكثرة، قيل ودود بمعنى وادّ اسم فاعل، فهو تعالى المتودد لعباده، بالنعم والإحسان، وقيل بمعنى مودود اسم مفعول؛ لأنّ العباد يحبُّونه ويتودَّدون إليه بالطاعات والقربات، وكلاهما صحيح، فهو المتودِّد

---

١ ـ روضة المحبين وجنة المشتاقين، لابن القيم ص٤٧. وينظر : المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (ت ٤٠٣ هـ) (١/ ٢٠٦).

لخلقه، ويحبُّ من خلقه أن يتودَّدوا إليه. والتوادُّ من صيغة التفاعل، فهي صفة متبادلة، كصفة المحبة ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال البغوي :"{ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} وللودود معنيان: أحدهما، أَنَّهُ مُحِبٌّ لِلمُؤمِنِينَ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعنَى المَودُودُ أَي مَحبُوبُ المُؤمِنِينَ".(١)

وَفِي الخَبَر أَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَحبُّوا الله بِمَا يغذوكم بِهِ مِنهُ نعمه، وَأَحِبُّونِي بحب الله، وَأَحِبُّوا أَهلَ بَيتِي لِحُبِّي)."(٢)

وبيّن الرازي وجه مناسبة الاسمين الجليلين لدعوة نبي الله شعيب قومه إلى التوبة والاستغفار، فقال : "لِأَنَّهُ تَعَالَى رَحِيمٌ وَدُودٌ يَقبَلُ الإِيمَانَ وَالتَّوبَةَ مِنَ الكَافِرِ وَالفَاسِقِ، لِأَنَّ رَحمَتَهُ وَحُبَّهُ لَهُم يُوجِبُ ذَلِكَ، وَهَذَا التَّقرِيرُ فِي غَايَةِ الكمال".

"وما ألطف اقتران اسم "الودود" بـ "الرحيم" وبـ "الغفور"! فإنَّ الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبُّه، وكذلك قد يرحم من لا يحبُّه. والرَّبُّ - تعالى - يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه، ويحبُّه مع ذلك، فإنَّه يحبُّ التوَّابين، وإذا تاب إليه عبدُهُ أحبَّهُ ولو كان منه ما كان".(٣)

---

١ ـ معالم التنزيل، البغوي (٤/ ١٩٦). وانظر :مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي (١٨/ ٣٩٠). وتفسير السمعاني (٢/ ٤٥٣).

٢ ـ والحديث: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وقال :حسن غريب، أخرجه أحمد ٣/ ٢، حديث رقم ١١٠٠٠؛ وأخرجه الترمذي ص ١٩٧٠، كتاب تفسير القرآن، باب ١٧: ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم ٣١٤٨؛ وأخرجه ابن ماجة ص ٢٧٣٩، كتاب الزهد، باب ٣٧: ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣٠٨؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ١٦٢). وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. ومدار الحديث على عليّ بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف، والحديث صحيح بطرقه وشواهده، منها ما أخرجه الدارمي في المقدمة بمعناه ١/ ٣٩، حديث رقم ٤٧؛ وما أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، وقال الألباني في تخريجه: صحيح الإسناد ٢/ ٣٥٦، وقال في صحيح الترمذي: صحيح ٣/ ٧١، حديث رقم ٢٥١٦ ـ ٣٣٦٩.

٣ ـ التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص٩٣). وينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٤٧).

قال البِقاعي: "{إن ربي} أي المختص لي بما ترون من الإحسان ديناً ودنيا {رحيم ودود} أي بليغ الإكرام لمن يرجع إليه بأن يحفظه على ما يرضاه بليغ التحبب إليه". [1]

وقال البيضاوي: "وَاستَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ عما أنتم عليه. إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ عظيم الرحمة للتائبين. وَدُودٌ فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده، وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الإصرار». [2]

يعني قوله تعالى قبلها: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٩]

---

١ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٣٦١). وينظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٤٧). والتفسير القرآني للقرآن (٦/ ١١٩١).

٢ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٤٦). وينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)(٨/ ١٧٥).

المبحث الثامن : العَزِيزُ الرَّحِيمُ

وقد جاء الاسمان الجليلان "العزيز الرحيم" مقترنين في ثلاثة عشر موضعا، أغلبها في سورة الشعراء، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تكررت في سورة الشعراء هكذا في ثمانية مواضع متفرقة، ثم وردت في ختام السورة هكذا ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧] .

وعن سر التكرار قال الزركشي: « {وإن ربك لهو العزيز الرحيم} فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاضِعَ، لِأَجلِ الوَعظِ؛ فَإِنَّهُ قَد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرة الواحد.

ويقول أيضًا :" وَأَمَّا مُنَاسَبَةُ قَولِهِ: {العَزِيزُ الرَّحِيمُ} فَإِنَّهُ تَعَالَى نَفَى الإِيمَانَ عَنِ الأَكثَرِ، فَدَلَّ بِالمَفهُومِ عَلَى إِيمَانِ الأَقَلِّ فَكَانَتِ العِزَّةُ عَلَى مَن لَم يُؤمِن، وَالرَّحمَةُ لِمَن آمَنَ، وَهُمَا مُرَتَّبَتَانِ، كَتَرتِيبِ الفَرِيقَينِ"[1]

وقال السيوطي: «وكذا قوله في سورة الشعراء: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ) . كررت ثمان مرات، كل مرة عقب كل قصة، فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر.[2]

قلت: الموضع الأول: في السورة يحمل وعيدًا وتهديدًا لكفار قريش ويتضمَّن وعدًا للمؤمنين، فالله تعالى هو العزيز الغالب الذي لا يمتنع عليه شيء، يعزُّ أولياءه ويذلُّ ويقهرُ أعداءه، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، كما أنه تعالى رحيمٌ بجميع الخلق، إذ يمهلُ العاصي، ويؤخره لعله يتوب، فإن تاب قبله، فاقترن الاسمان الجليلان، ثم جاء الموضع الثاني: تعقيبا على هلاك فرعون وجنده ونجاة موسى ومن آمن معه، {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ} [الشعراء: ٦٨] ثم جاء الموضع الثالث: مؤكدا هذا الوعيد والوعد، قهر الله

---

١ ـ البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٠).

٢ ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٦٠).

لأعدائه ونصره وإنجائه لأوليائه، {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ} [الشعراء: ١٠٤] ثم الموضع الرابع عقيب قصة نوح حيث أنجاه الله ومن آمن به وأهلك الكفرة بالإغراق، ثم الموضع الخامس: عقب إهلاك قوم عاد ونجاة نبيهم هود، ثم الموضع السادس: إثر الإخبار عن إهلاك ثمود ونجاة نبيّهم صالح ومن آمن معه، ثم الموضع السابع: بعد قصة لوط ونجاته ومن آمن به وهلاك الظالمين، ثم الثامن: إثر نجاة نبي الله شعيب شعيب، وهلاك أصحاب الأيكة. وهكذا تأتي القصص الواقعية مؤكِّدةً ومقررةً لما تضمنه الموضع الأول من وعيد ووعد.

يأتي الموضع الأول في السورة ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ الشعراء: ٥ ـ ٩

قال الطبري: «وقوله: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ) يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته، لا يمتنع عليه أحدٌ أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعهم مني مانع، لأني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته.[١]

وقال أبو السعود:«{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العزيز الرحيم} أي هو القادرُ على تعجيلِ العُقوبةِ لقومِك، ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعةِ؛ ليؤمن بعضٌ منهم أو من ذريَّاتِهم».[٢]

وقال الخطيب الإسكافي: «فاتصف تعالى بـ (العزيز الرحيم) لما يوجبانه من الخوف والرجاء اللذين بهما لزوم الطاعات، والرغبة فيما علا من الدرجات، وأراد بالرحمة أن

---

١ ـ جامع البيان (١٩/ ٣٣٦).

٢ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٥٤).

هذه الأمم أمهلت لتُقلع عن تمرّدها، وتعود إلى ربها، وتتوب من ذنبها، فلما لم تفعل عوقبت في الدنيا سوى ما أعدّ لها في الأخرى».[1]

ثم يأتي الموضع الأخير في السورة الكريمة بالدعوة إلى التوكل على العزيز الرحيم بعد تجلي هذين الاسمين في السورة الكريمة، وترسخُّهما في الأذهان، واستقرارهما في القلب، أمر تعالى بالتوكل عليه فهو المعز، المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٧ .

"وَتَوَكَّل عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ: الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفِك شرَّ من يعصيك منهم ومن غيرهم".[2]

توكل عليه "فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ؛ فَإِنَّهُ مُؤَيِّدُكَ وَنَاصِرُكَ وَحَافِظُكَ وَمُظَفِّرُكَ ومُعِلٍ كَلِمَتَكَ"[3]

"وفوض إليه جميع أمرك، وثق بالله العزيز في نقمته، الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة»[4]

ثم جاء الاسمان الجليلان في سورة الروم آ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الروم: ١ - ٥

فنصر الله تعالى لعباده المؤمنين، إعزازٌ لهم ورحمةٌ بهم، وقهرٌ لأعدائهم، وهو ما يفهم من اقتران الاسمين الجليلين، فالعزة: الغلبة والقهر للأعداء، وفي ذات الوقت

---

١ ـ درة التنزيل وغرة التأويل (١/ ٩٦٣).

٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٥١).

٣ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ١٧١).

٤ ـ التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٥).

الإعزاز والتأييد للأولياء، والنصر من رحمة الله بأوليائه، والرحيم لا يمنعه مانع من إيصال رحمته، ولذا اقترن بالعزيز: الغالب الذي لا يمتنع عليه شيء. ولقد نزلت هذه السورة والمسلمون في مكة مستضعفون، فوعدهم الله بالنصر والظفر على أعدائهم وقد تحقق الوعد الرباني، بعزة الله لأوليائه، وانتقامه وإذلاله لأعدائه، ورحمته بأوليائه.

ثم يأتي موضع سورة السجدة في سياق الحديث عن قدرة الله جل وعلا والتي من مظاهرها خلق السموات والأرض وتدبير شؤونهما، وخلق الإنسان، كل هذا في سياق إثبات الرسالة والبعث. ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ السجدة: ٦

ولنتأمل هذه الآية الكريمة في سياقها﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ السجدة: ٤ - ٧

وفي سورة يس تقرير بنزول القرآن من العزيز الرحيم ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ يس: ١ - ٥

«{تَنزيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ} أي: هَذَا الصِّرَاطُ وَالمَنهَجُ وَالدِّينُ الَّذِي جِئتَ بِهِ مُنزل مِن رَبِّ العِزَّةِ، الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ المُؤمِنِينَ...».[1]

قال أبو السعود :"وفي تخصيص الاسمينِ الكريمينِ المُعربينِ عن الغلبةِ التَّامةِ والرأفة العامة حثٌّ على الايمان، ترهيبًا وترغيبًا وإشعارٌ بأنَّ تنزيلَه ناشيءٌ عن غايةِ الرَّحمةِ... "[2]

١ ــ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٥٦٣).

٢ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٥٩). وينظر ما قاله الرازي في مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٢٥٣).

ويأتي الموضع الأخير في سورة الدخان في سياق الحديث عن يوم القيامة، حيث لا يغني أحد عن أحد شيئا إلا من رحم الله جل وعلا إنه تعالى العزيز الرحيم القادر على رحمة من يشاء لا يمنعه مانع﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان: ٤٠-٤٢] .

قال الطبري:" إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته."[1].

١ ــ جامع البيان (٢٢/ ٤٢).

خاتمة

١. في اقتران الأسماء الحسنى أسرارٌ ولطائف يعجز البشر عن الإحاطة بها.

٢. اقتران الأسماء الحسنى من فرائد القرآن، ومن وجوه ثراء وجلال معانيه التي لا منتهى لها.

٣. ورد اسم الله الرحيم قرابة ٩٥ مرة. وغالبا ما يقترن بالمغفرة. منها ٣٤ موضعا معرفة بلام التعريف إخبار أو صفة لله جل وعلا. ٦١ موضعا في موضع الخبر، وغالبا ما تقترن بالمغفرة.

٤. وفي ورود الاسمين الجليلين مقترنين في ستة مواضع من كتاب الله ما يؤكد ويبرهن أنه كتاب الرحمة، فمن آمن به تخلق بها وكان أهلا لرحمة الله في الدنيا والآخرة.

٥. لا حجة لمن قال تخصيص "الرحمن الرحيم" بالدنيا أو الآخرة، كما لا وجه لحمل أحدهما على العموم والثاني على الخصوص، أو القول بأن الرحمن في عظائم الأمور والرحيم ما دونها.

٦. تكررت مادة رحم بمشتقاتها في القرآن قرابة مائتي مرة، فضلا عن نظائرها، وفي هذا ما يدل على أن رسالة القرآن ودعوته ومضمونه الرحمة.

٧. لم يرد اسم التواب معرّفا إلا مقترنا باسم الله الرحيم، كذلك المواضع التي جاءت بغير لام التعريف، كلها مقترنة باسم الله الرحيم إلا في موضع واحد، جاء مقترنا باسم الله الحكيم.

٨. اقترن الاسمان الجليلان (غفور رحيم) بغير لام التعريف في اثنتين وأربعين موضعا في كتاب الله، متفرقة في السور المكية والمدنية.

٩. تقديم الغفور: في المواضع السبع المعرفة باللام، من باب التخلية قبل التحلية. ولتأكيد المغفرة، وتقبل الله للتائب، وأنه لا يُحرم من رحمة الله بما سلف من ذنبه، فالله يعامله معاملة من لا ذنب له، وهذا من رحمته تعالى به.

١٠. في سورة سبأ جاء النظم مغايرا ؛ حيث تقدمت الرحمة على المغفرة، فكان هذا من تفنُّن القرآن وكمال أساليبه، فضلا عن رعاية الفاصلة، ومراعاة السياق.

١١. لم يقترن اسم الله الرحيم باسمه البَرّ إلا في موضع واحد من سورة الطور وهي مكية، بل لم يرد اسم الله البّر إلا هاهنا في هذا السياق.

١٢. اقترن اسم الله الرحيم مع الرؤف في ثمانية مواضع، وجاء الرؤف منفردًا في موضعين، والمواضع العشر بغير لام التعريف، ورغم تقارب معنى الصفتين، إلا أنَّ بينهما فرقًا دقيقًا بيّنته في ثنايا البحث.

١٣. هناك رحمة ورأفة عامة تشمل جميع الخلائق، فيعيشون في أمن واستقرار، ولطف، ولا يعجل الله العقوبة للعاصي بل يمهله لعله يرجع ويتوب، فإذا تاب قبلَهُ ورَحمه، وهناك رأفة ورحمة خاصة بعباد الله الصالحين، أنه تعالى يتوب عليهم ويرحمهم، ويخفف عنهم وييسّر معايشهم، ويتجاوز عنهم.

١٤. جاء اسم الله الودود في موضع واحد مقترنا بالغفور، بينما اقترن الاسمان الجليلان الرحيم الودود- بغير لام التعريف- في موضعٍ واحد.

١٥. اشتمل قصص القرآن على كثير من أسماء الله الحسنى، والتي تجلّت آثارها، وثمارها في هذه القصص.

١٦. وحدة منهج الأنبياء في الدعاء، ومعرفة الله، ومعرفة أسمائه، والتوسل إليه تعالى.

أوصي: بدراسة اسم الله الغفور واقترانه في القرآن، واسم الله الحكيم واقتراناته، واسم الله السميع واقتراناته. وغير ها من أسماء الله الحسنى.

أوصي: بدراسة أسماء الله الحسنى الواردة في قصص القرآن في رسالة علمية جامعية.

مراجع البحث

القرآن الكريم

١. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥ هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، ط دار الفضيلة

٢. ـ درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي، ت٤٢٠ محمد بن عبد الله تحقيق محمد مصطفى آيدن، ط١، جامعة أم القرى.

٣. تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة التونسي ، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ)، ط ١.دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م.

٤. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي ت٩١١ ط البابي الحلبي ١٣٧٠ هـ

٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي ت ٩٨٢ هـ ط دار الفكر بدون.

٦. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، ط دار الفكر .

٧. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤ هـ) دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦ هـ .

٨. البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي،علي بن محمد (ت نحو٤٠٠هـ)، تح د. وداد القاضي، دار صادر بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ

٩. بيان المعاني علوم القرآن وأصول التفسير، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت ١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي. دمشق، ط١، ١٣٨٢هـ

١٠. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار المعرفة، بيروت، لبنان

١١. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ ط دار سحنون للنشر والتوزيع تونس بدون تاريخ

١٢. تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، (ت ٣١١هـ) تح: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

١٣. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (ت ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود.ط١، ١٤٣٠ هـ

١٤. تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للسيد محمد شيد رضا ط٢ دار المنار سنة ١٣٧٢ هـ .

١٥. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ) تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى ط الفاروق الحديثة القاهرة .

١٦. تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ . دار التراث العربي بدون.

١٧. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ) ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة ١٤١٩هـ .

١٨. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، تح ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط دار الوطن، الرياض .

١٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ ط دار الفكر ١٤٠٥ ه.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ت ١٣٧٦ هـ ط الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الرياض ط ١٤٠٤ .

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م

٢٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ط دار الفكر ١٤٠٣هـ .

٢٤. روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧٠ هـ ط دار إحياء التراث العربي ط ٤ - ١٤٠٥هـ.

٢٦. روضة المحبين وجنة المشتاقين، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٧. زاد المسير في علم التفسير لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٦هـ) ط المكتب الإسلامي بيروت ط١ سنة ١٣٨٥ هـ.

٢٨. سنن ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ) ط دار الحديث بالقاهرة.

٢٩. سنن أبي داود (سليمان بن شعث السجستاني ت ٢٥٧ هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت .

٣٠. سنن الترمذي (أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٩٧ هـ) ط دار الفكر ١٤٠٨هـ .

٣١. شرح رياض الصالحين تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين دار الوطن للنشر، الرياض ط: ١٤٢٦ هـ .

٣٢. صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٣٣. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ) دار إحياء الكتب العربية .

٣٤. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن على الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ ط١ البابي ١٣٥٠هـ

٣٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، جائزة دبي، ط١، ١٤٣٤هـ

٣٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي ت ٥٢٨ هـ ط٣ دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧هـ.

٣٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، ت محمد علي شاهين، ط١ دار الكتب العلمية ١٤١٥ هـ

٣٨. لسان العرب لجمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم بن منظور (٧١١ هـ) . ط دار المعارف.

٣٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧ هـ) ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ .

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦ هـ ط المجمع العلمي بفاس المغرب سنة ١٣٩٥ هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت

٤١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت ٧٧٤ هـ)، ط دار الحديث، القاهرة.

٤٢. المستدرك على الصحيحين للإمام أبى عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ وفى ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبي ت ٨٤٨ هـ

٤٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ ، ط دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر ١٩٥٧ م ، وطبعة مؤسسة قرطبة القاهرة بتعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٤٤. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي –قم- ط١، ١٤١٢هـ.

٤٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦. المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (ت ٤٠٣ هـ) حلمي محمد فودة دار الفكرط،١، ١٣٩٩هـ

٤٧. نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيلي (ت ٥٨١ هـ)، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١٢ .

٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ت ٨٨٥ه ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط ٢ سنة ١٤١٣هـ.